العرب
الأربعاء 2020/11/18
السنة 43 العدد 11885

الفن أسلوب حياة

شال أم لوحة

تمازج الموضة والرسم

مصممة مصرية تُلبس النساء لوحات فنية

الألوان والرسومات تحرر المرأة من الروتين وتلفت نظرها إلى جمال الفنون

أصبحت الموضة أخت الفنون في الخيال والإبداع، بل تفتق مواهب المصممين على تحويل فكرة رسم اللوحات الفنية على الثياب لتصبح وكأنها معرض متحرك والغاية من ذلك هي الخروج بهذه اللوحات التشكيلية من المعارض إلى الشارع ليصبح الفن أسلوب حياة.

ندى علي
كاتبة مصرية

قدمت مصممة الأزياء المصرية وفاء سعيد علي مجموعتها الأخيرة للشيلان وغطاء الرأس من علامتها التجارية التي تحتفي بالفن.

وطغت على المجموعة اللمسات الفنية والتفاصيل الزخرفية والألوان المبهجة، إذ استوحت تصاميمها من لوحات عالمية لرواد الفن التشكيلي منهم غوستاف كليمت، يوهانس فيرمير، وفان غوخ.

> وفاء السعيد أرادت عبر تصاميمها تحرير الفن والخروج به من حالة السكون ليشغل تفاصيل حياتنا اليومية ويلونها ويجملها

قالت وفاء، لـ"العرب"، "نحن نرى دوما الأعمال الفنية كاللوحات منحصرة في أطر ضيقة، والمنحوتات ثابتة مقيّدة الحركة، فأردت عبر تصاميمي تحرير الفن والخروج به من حالة السكون ليشغل تفاصيل حياتنا اليومية ويلونها ويجملها، ويجعل من كنهه أسلوب حياة".

تعيد المصممة الشابة إلى الأذهان تجارب سابقة مزجت بين الموضة والفن، نجدها في عروض الأزياء لأشهر العلامات، فهل تقدم الفنانة الشابة مجموعة من التصاميم الجديدة المستلهمة من لوحات فنية مسايرة لهذا الاتجاه في عالم الأزياء، أم أن الأمر مختلف لديها والتجربة تحمل أبعادا أخرى؟ تقدم وفاء شيئا مختلفا إلى حد كبير، فهي قبل أن تشرع في ابتكار تصاميمها تعمل أولا على إعادة رسم اللوحات وتقديمها برؤية مصرية شعبية وتوابل محلية، ليصبح وراء كل لوحة معنى أو فكرة ما تريد توصيلها إلى المرأة.

لم يكن أمام هذه الفنانة المفتونة بإعادة إحياء التراث والفن الشعبي حين قررت تقديم اللوحات العالمية على قطع الملابس، إلا أن تقدمها بعد أن تصبغها بالطابع المحلي.

منذ تخرج وفاء سعيد في كلية الفنون الجميلة، كان أكثر ما يشغلها الفلكلور والتفاصيل الزخرفية العربية، وقد حرصت على أن تدمج هذا التراث في تصاميمها، فلا تقوم بنسخ اللوحات الفنية وتوظيفها في التصميم، لكن تكسبها طابعا خاصا وكيانا جديدا.

قدمت سعيد حتى الآن مجموعات من التصاميم، عندما ينظر الزائر إلى المشغل الخاص يرى بها قطعا منها متراصة بجوار بعضها البعض، فيشعر كما لو أنه دخل معرضا أو متحفا فنيا، أما المرأة، فتشعر أن هناك من جاء ليحررها لترتدي أغطية الرأس مرسومة بفرشاة سريعة مطعمة بروح تراثها.

قالت، قدمت تصاميم بعضها مستوحى من الفن الشعبي، مثل مجموعة "كف فاطمة" التي تستند إلى رموز وعناصر فلكلورية، و"مجموعة الحلاج" المستلهمة من أبياته شعرية له، إلى جانب مقتطفات من الآداب والفنون العراقية التي تستهويني للغاية.

وأردفت، "لا أهدف فقط إلى تقديم تصاميم جميلة تجتذب عين المرأة، لكن أدفعها إلى الاهتمام بالفن والثقافة بشكل غير مباشر، فاليوم ترتدي قطعة فنية، وغدا يصبح الفن جزءا من حياتها اليومية، فهي لن تعتاد سوى على رؤية الجمال والفن، والخروج عن ملل الحياة اليومية، لتصبح امرأة فريدة في مظهرها وتفكيرها".

ربما يكون تعمد وفاء لاختيار لوحات عالمية عاملا مساعدا على تحقيق أهدافها، فهي لا تختار "لوحات حلوة" بألوان مبهجة تجمل بها الحياة وتزيد المرأة جاذبية، لكن دوما هناك وراء كل لوحة قصة أو معنى ما تحفز المرأة على التواصل معه.

وتأتي رائعة غوستاف كليمت "القُبلة"، وهي واحدة من أشهر الأعمال الفنية العالمية التي أنجزت في القرن العشرين، بل إن بعض النقاد يعتبرونها ضمن أفضل خمس لوحات في تاريخ الفن التشكيلي، ومرادفا للانجذاب العاطفي بين المرأة والرجل، ورمزا للانصهار الروحي، حيث تَظهر يدا الرجل العاشق ملتفتين حول وجه المرأة، بينما تلتف يدُ المرأة حول عنقه.

وفي حين تتخذ هي شكل الركوع، فإن رأس الرجل ينحني ليقترب من وجهها ويقبلها، ما يشير إلى سعي كليهما للاقتراب من الآخر بنفس القدر دون أن يقتصر الأمر على أحدهما، وترمز اللوحة إلى أن الحب الجارف لا يعني أن يلغي أحدهما شخصية الآخر، فثمة تعبير عن جسديهما كانصهار وليس كحالة ذوبان، وذلك ما يضمن استمرار العشق، وهو ما عبر عنه كليمت من خلال اتساع مساحة الفراغ حولهما في دلالة على استمرار المشاعر إلى ما لا نهاية له.

وأوضحت وفاء سعيد، أن أسباب اختيارها للوحة لأنها تزخر بالمشاعر الفياضة وتعبر عن حالة عشق فريد، يرجع أيضا إلى وجود حالة من الحضور القوي للرجل والمرأة معا، وهي رسالة أرادت أن توجهها إلى المرأة التي قد تتخلى عن طموحها بل شخصيتها وكيانها حين تعشق، وهو خطأ قد لا تنتبه له إلا بعد فوات الأوان.

وما جذب الفنانة العاشقة للزخارف إلى اللوحة، زخم الخطوط وعناصر أخرى.

ونجحت وفاء أن تجرد رسمها لـ"القبلة" من زخارف كليمت ذات الطابع البيزنطي لتكسبها روحا خاصة عبر استدعائها زخارف وخطوط من الفن الشعبي المصري.

وقامت وفاء باستلهام لوحة "فتاة الحليب" للفنان الهولندي يوهانس فيرمير، التي اعتبرها أروع لوحاته، حتى عند مقارنتها بالأكثر شهرة منها مثل "ذات القرط اللؤلؤي" و"ذات القبعة الحمراء"، و"عازفة القيثارة"، لأن "فتاة الحليب" أو "خادمة الحليب" كما يطلق عليها البعض، جسدها الفنان من وجهة نظر تبرز جمالا من نوع آخر نادرا، وهو ما يمكن أن يطلق عليه "جمال الاتقان". هذه الفتاة التي تظهر في اللوحة متحلية بالهدوءِ والثبات تقيس الحليب بعناية وتركيز في وعاء الفخار، لكن إذا كنت تقرأ دوما هذه اللوحة كرمز للاتقان، وتلمس جمالها في هذا الجانب، فاختيار وفاء سعيد لها نبع من معنى آخر أرادت أن يصل إلى المرأة وهو الحب والحميمية حتى أثناء خدمة أسرتها أو الغير.

تجسيد الفلكلور في الملابس

وأضافت، "رسمت هذه اللوحة كثيرا أثناء دراستي، وكنت دوما أراها أيقونة للدفء الأسري، حيث تحيط بالفتاة أجواء من الرعاية والحنان، إلى جانب كسرات الخبز واللبن، وهو ما يعد إفطارا أساسيا في الكثير من البيوت المصرية، لذلك كانت في مقدمة اللوحات التي انتقيتها حين أطلقت مشروعي، لعلها تضفي بعضا من الدفء المفقود في عصرنا الراهن".

الكوفية راية على رأس الفلسطينيين أينما حلّوا

الخليل (الضفة الغربية) - يتمسّك الشعب الفلسطيني "بكوفية الختيار" المكونة من اللونين الأبيض والأسود، كرمز أصيل من التراث الوطني الفلسطيني وخاصة في المناسبات. ومثلما كان الفلاحون يستخدمونها قديما للوقاية من أشعّة الشمس، فإنها باتت اليوم تلبس في جميع أنحاء العالم وخاصة من قبل الشباب.

وقال الحاج الستيني أبومحمد أبوماضي، الذي يرتدي الكوفية والعقال على رأسه، أثناء تواجده في أسواق مدينة الخليل برفقة أحفاده "30 عاما ويزيد لم تفارق الكوفية رأسي، فهي رمز نضالنا وعزّتنا، وهي بمثابة السلاح الذي يفرض علينا دوما حب الوطن والتجذر بكل مقدراته ومقدساته، نحن رغم كل الصعاب والأحداث المؤلمة التي يواجهها شعبنا، سنبقى متمسكين بتراثنا ورمزنا الفلسطينيين لإكمال مسيرتنا نحو القدس والتحرير".

وأضاف "أكاد أجزم أن الشباب يحتفظون بها في دواليبهم وبين أغلى مقتنياتهم التي تعزّ عليهم، وهي على قلوبنا أغلى ما نملك، هي كالأرض والعرض لا نساوم عليها ولا نفرّط فيها يوما من الأيام". وتنتشر الكوفية الفلسطينية اليوم بين الكثير من الشباب الأوروبي، يرونها وسيلة للأناقة حظيت بقبول شعبي خاصة بين الشباب اليساريين من أواخر الستينات.

وأدخل الفلسطينيون على صناعة الكوفية التي تمتاز باللون الأبيض والخطوط السوداء، ألوانا أخرى مختلفة منها الأخضر والأحمر والبرتقالي، وكوفية بألوان علم بلادهم، لتواكب العصر الحديث.

كما تقام في فلسطين وخارجها، معارض خاصة للكوفية الفلسطينية بأشكالها، وعرضها للزوار والسياح الأجانب الذين يقبلون على شرائها.

ويفتخر أبناء هذا الشعب برمزهم هذا، ويقولون إنه لا حاجة لكي يقوم أي واحد منهم يسافر إلى الخارج بالتعريف بهوّيته، إذ يكفي ارتداءه للكوفية كي يقال عنه إنه "فلسطيني".

وبلونيها الأبيض يضعها بعض الفتيان والشابات، وحتى الأطفال كمامة للتوقي من خطر العدوى بفايروس كورونا.

وأضفى فنانون في القدس لمسة خاصة على كمامات الوجه المستخدمة للحماية من فايروس كورونا المستجد، بعد أن قاموا بتطريزها وتلوينها بألوان الكوفية والعلم الفلسطينيين.

واستخدم الفنانان عيسى القواسمي وحسام أبوعيشة التطريز بالألوان وكذلك نسيج الكوفية، بلونيها الأبيض والأسود في صنع كمامات فريدة من نوعها. وأكد القواسمي أن هذه الفكرة جاءت لمحاربة الطاقة السلبية التي تراكمت على مدار شهر، ومحاولة الخروج من الجو السلبي الذي تسببه أخبار الوباء.

الكوفية مهددة

ووفقا لدراسات تاريخية فلسطينية فإن الكوفية، التي تتصدر المشهد اليومي في التظاهرات والمواجهات، تعتبر رمزا للنضال الفلسطيني منذ عام 1935.

وبحسب مركز المعلومات الوطني الفلسطيني (حكومي)، فإن مجموعات من الثوار الفلسطينيين وعندما شددت السلطات البريطانية (كانت فلسطين تخضع للانتداب البريطاني)، من رقابتها قاموا بإخفاء ملامحهم عن طريق ارتداء الكوفية.

وعقب اندلاع الثورة الفلسطينية عام 1936، والتي كانت نقطة تحول كبيرة في مسيرة الحركة الوطنية، بدأ الثوار في الإقبال على ارتداء الكوفية التي يُقال إنها كانت عبارة عن قطعة من القماش الأبيض.

ويذكر المركز أن الثوار ارتدوا الكوفية على هيئة لثام؛ لتفادي اعتقالهم أو الوشاية عليهم، وعندما بدأت القوات الإنجليزية في اعتقال كل من يتوشح بها، أمر الثوار أبناء القرى والمدن الفلسطينية بارتدائها.

وانتشرت الكوفية كرمز للكفاح ضد القوات الإنكليزية ورافقت الفلسطينيين في كافة مراحل نضالهم.

واستخدم الفلسطينيون الكوفية بلونيها الأبيض والأسود في ستينات القرن الماضي، وباتت رمزا لثورتهم المعاصرة (1965). واشتهر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بارتدائه للكوفية، ولم يظهر في أي مناسبة وطنية أو سياسية دونها.

وتعاني حياكة الكوفية في فلسطين اليوم من المنافسة الهندية والصينية والتي أثرت سلبا على عمل المصنع الوحيد في منطقة الخليل خلال السنوات الأخيرة. والسبب في هذا يعود إلى ارتفاع سعر التكلفة داخل البلاد، مقارنة بالأسعار الزهيدة لهذه المنتجات القادمة من الخارج، حتى أن الأمر وصل إلى إغلاق المصنع لخمس سنوات بسبب عدم قدرته على المنافسة.

ومصنع أسرة الحرباوي هو الوحيد داخل الأراضي الفلسطينية المشهور بصناعة الكوفية التقليدية وموجود في مدينة الخليل في الضفة الغربية.

وأول من وضع حجر الأساس للمصنع هو الأب ياسر الحرباوي، الذي توفي العام الماضي، وكان ذلك في العام 1961 قبل أن يتولى الإخوة الحرباوي إدارته. ويحتوي المصنع على عدد من الماكينات أقدمها تعود إلى عام 1967 وتم جلبها من اليابان، وفي الجهة المقابلة لإحدى الماكينات عامل ينقش رسومات يدويا.

وبدأت الكوفية المصنوعة في الصين تدخل الأراضي الفلسطينية منذ سنة 1993 نظرا إلى رفع الحواجز التجارية، يقول جودة الحرباوي إن "الكوفية الصينية رقيقة ومتدنية النوعية ولكن كلفتها أقل بكثير من نظيرتها المحلية".

ويضيف "في الماضي كان المصنع يتنافس مع مصانع سورية بالدرجة الأولى ولكن المنافسة كانت شريفة لأن الأسعار والنوعية كانت قابلة للمقارنة".

> «كوفية الختيار» باللونين الأبيض والأسود تمثل رمزا أصيلا من التراث الفلسطيني الذي تفتخر به كل الأجيال من الجنسين